Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 51, No. 1, 2024

Deanship of Scientific Research

An Image of the Village from the Local to the Global in the Novel (Season of Migration to the North) by Al-Tayeb Salih: A Literary Critical Study

Mohamed Musa Albalolazzaina*

Arabic Languge Department. Vaculty of Arts. Jouf University, Saudi Arabia.

Received: 16/8/2021
Revised: 14/9/2021
Accepted: 14/12/2021
Published: 30/1/2024

* *Corresponding author:* awrady@gmail.com

Citation: Albalolazzaina, M. M. (2024). An Image of the Village from the Local to the Global in the Novel (Season of Migration to the North) by Al-Tayeb Salih: A Literary Critical Study. *Dirasat: Human and Social Sciences, 51*(1), 540–552. https://doi.org/10.35516/hum.v51i1.6923

© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives:This highlights on the symbolism of the image of the village in the novel (Season of Migration to the North) by Tayeb Salih, and the reasons that transferred it from the local to the global.

Methods: The study plan depend on the descriptive-critical-analytical approach based on observation and induction, and it came in an introduction, three chapters and a conclusion.

Results: of the study concluded that Al-Tayeb Salih's connection to his country, and his experience of emigration and his vast culture, enriched and deepened his experience; He produced a mature and purposeful narrative work that excited readers and specialists locally and glob. And the image of the village in the novel is composed of a local image of its social, political, cultural and religious nature, and a Western image on the lips of its children.

Conclusions: And that the reasons that brought the image of the village in the novel (Season of Migration to the North) to globalism are: the intellectual and artistic side, place and time, migrations, translation and translators, literary and critical studies, the Internet. And this confirms that globalism stems from locality.

Keywords: Novel, village, city, local, international, migration.

صُورَةُ القَرْيَةِ مِنَ المحَلِّيَّةِ إِلى العَالميَّةِ في رِوَايَةِ (مَوْسِم الهِجْرَة إلى الشَّمَالِ) للطَّيِّب صَالِح : دِرَاسَةٌ أَدَبِيَّةٌ نَقْدِيَّةٌ

محمد موسى البلولة الزين*

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية.

ملخّص

الأهداف: تهدف هذه الدراسة إلى تسلِّط الضوء على رمزية صورة القرية في رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح، والعوامل التي نقلتها من المحليَّة وأوصلتها إلى العالميَّة.

المنهجية: اعتمدت خطة الدراسة المنهج الوصفي النقدي التحليلي القائم على الملاحظة والاستقراء، وجاءت في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

النتائج: توصَّلت الدراسة إلى أن ارتباط الطيب صالح بوطنه، وتجربته في الهجرة وثقافته الواسعة، أَغْنَتْ تجربته وزادتها عمقًا؛ فأنتج عملًا سرديًا ناضجًا وهادفًا، استثار القرَّاء والمختصين محليًّا وعالميًا. وأن صورة القرية في الرواية، مركَّبةٌ من صورة محليَّة لطبيعتها الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية، وصورة غربيَّة على لسان أبنائها.

الخلاصة: العوامل التي أوصلت صورة القرية من المحلية إلى العالمية، هي: الجانب الفكري والفني، المكان والزمان، الهجرات، الترجمة والمترجمون، الدراسات الأدبية والنقدية، الشابكة العنكبوتية، وهذا ما يؤكّد أن العالمية تنبع من المحلية.

الكلمات الدالة: رواية، القرية، المدينة، محلية، عالمية، الهجرة.

المقدمة

تعدُّ رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح، من الكتابات السرديَّة التي تعبّر عن قضية تاريخية متجددة؛ فأصبحت محطَّ أنظار النُّقَّاد والدَّارسين. ولمَّا كانت صورة القرية المركَّبة مسرحًا لأحداثها وأشخاصها، بدأنا نبحث عن صورتها المحلية، وعن العوامل التي نقلتها إلى العالمية؛ فمن هنا جاءت أهمية الدراسة، التي تحاول الإجابة عن مجموعة من الأسئلة أهمها:

- من أين استمدَّ الطيب فكرة روايته (موسم الهجرة إلى الشمال)؟

-ما الرمزية التي تعبّر عنها صورة القرية في الرواية؟

-ما العوامل التي أوصلت الرواية إلى العالمية؟

-هل العالمية في هذه الرواية يمكن أن تنبع من المحليَّة؟

وتهدف الدراسة إلى الكشف عن رمزية صورة القرية في رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح، والتعريف بصورتها المحلية وصورتها المركبَّة، وبالعوامل التي نقلتها من المحلية إلى العالمية، فضلًا عن إثراء الحركة الأدبية والنقدية في مجال السرد الروائي.

أما الدراسات السابقة في هذه الرواية، فهي كثيرة لا يتَّسع مجال الدراسة لذكرها، وقد يتبادر إلى الذهن أن الرواية قد قُتِلَت بحثًا ودراسةً، إلا أننا نرى أن الرواية مازالت حيَّة، ومليئة بالإيحاءات، وتحتمل المزيد من القراءات النقدية؛ لذا نحسب أن موضوع صورة القرية من المحليَّة إلى العالميَّة في هذه الرواية، لم يُطْرَق من قِبَل المختصِّين؛ فأغلب ما توفَّر لدينا وما اطلعنا عليه من دراساتهم، تناول موضوعات من زوايا نقدية مختلفة ومتنوِّعة، بعيدة عن موضوع دراستنا، وبعضها تناول موضوعات تتقاطع في جزئية صغيرة مع دراستنا، مثل: دلالة المكان، والصراع الحضاري بين الشمال والجنوب، والمقارنة بين روايتين في الفكرة والأشخاص، والأبعاد الاجتماعية والثقافية والسياسية. فمنها: دراسة لكلثوم مدقن، (2005) عنوانها (دلالة المكان في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح)، اقتصرت على دلالة المكان الداخلي والمكان الخارجي والمكان المغلق والمكان المفتوح والمكان المغلق المفتوح. ودراسة لمراد مزعاش، (2012) عنوانها (تجلِّيات الصراع الحضاري في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للروائي الطيب صالح)، تناولت فيه القرية والمدينة والغربة والحنين والأصالة، والجنس والمرأة. وفاطمة القرعان، (2003) لها دراسة بعنوان (تلقي "موسم الهجرة إلى الشمال" نقديًا: دراسة في نقد النقد)، تناولت فيها مفهوم التلقي والتلقي النقدي، والدراسات التي أولت اهتمامها بالقارئ المتلقي، وتقاطعت جزئيًا مع دراستنا في جزئية دراستها لمكونات الرواية السردية: الشخصية والزمان والمكان. ولمديحة عتيق، (2014) دراسة عنوانها (الأنا والآخر في الأدب ما بعد الكولونيالي "قلب الظلام" لجوزيف كونراد، "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح)، فهي دراسة مقارنة تناولت موضوع الرواية، وشهرة الرواية، والشخصيات، وصورة الأنا وصورة الآخر في الروايتين، ولمحة عامَّة عن الأدب ما بعد الكولونيالي.

واقتضت طبيعة الدراسة أن نتَّبع المنهج الوصفي التحليلي النقدي. أما خطة الدراسة فجاءت في مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقائمة بأسماء المصادر والمراجع. قدَّمنا في المبحث الأول نبذة قصيرة عن الطيب وروايته (موسم الهجرة إلى الشمال)، ثم جاء المبحث الثاني عن صورة القرية المركبة في الرواية، تناولنا فيه الصورة المحليَّة وصورة المدينة على لسان أبناء القرية. وكان المبحث الثالث عن عالمية صورة القرية في الرواية، ثم أعقبنا ذلك بخاتمة لأهم النتائج وقائمة للمصادر والمراجع.

المبحث الأول: نبذة عن الطيب صالح ورو ايته (موسم الهجرة إلى الشمال):

أ/ الطيب صالح: وُلِدَ في صيف عام1929م، في شمال السودان بقرية (كَرْمَكوْل) في إقليم مروي، (جبريل، 1997، ص21). تلقَّى تعليمه الأولي في قريته، ثم انتقل إلى الخرطوم، وأكمل دراسته الجامعية، وحصل على بكالوريوس العلوم، ثم انتقل إلى لندن وأكمل تعليمه العالي في الشؤون الدولية (محمدية وآخرون، 1984، ص6).

عَمِلَ الطيب مدرسًا للمرحلة الوُسْطَى في مدينة (رِفَاعة) بالسودان، وعَمِل بمعهد تدريب المعلمين في مدينة (بخت الرِّضا). ثم التحق بهيئة الإذاعة البريطانية، وأصبح فيها رئيسًا لقسم الدراما (يدي النور، 2018، ص39، 40)، وعاد إلى السودان وعمل مستشارًا للإذاعة السودانية، ثم ارتحل إلى قطر وعَمِل فيها وكيلًا لوزارة الإعلام، ومشرفًا على أجهزتها، وعاد إلى أوروبا وعَمِل مديرًا إقليميًا بمنظمة (اليونسكو) في باريس، وممثلًا لها في الخليج العربي ما بين عامي (1982م – 1989م) (جبريل، 1997، ص116).

وكان الطيب ملمًا بالثقافة العربية؛ قرأ لمعاصريه، وغاصَ في التراث، وعاشَ الحضارة الغربية وعايَشَ ثقافتها، فقرأ أعمال أدبائها الكلاسيكيين والمعاصرين، فأغنى تجربته ووسَّع مداركه، وأبدع في كتاباته (محمدية وآخرون، 1984، ص6).

بدأ الطيب الكتابة الأدبيَّة عندما كان يعمل في مجلَّة "المجلَّة"، وهي مجلة عربيَّة تصدر في لندن (الماضي، الخميس2009/2/19)، ومعظم كتاباته كانت تصوِّر الرِّيْفَ الشمالي في السودان (غازي، 2015، ص8)، وكان نشطًا في الفعاليات الأدبيَّة التي تُقَام في البلدان العربيَّة، وتَرأَّسَ العديد من الجوائز والفعاليات، وشاركَ في عدد من المؤتمرات، وله مقالاته ولقاءاته في الأدب والنقد والسياسة. وهذا يعكس ثقافته الواسعة، والتنوُّع في مساهماته (محجوب، فبراير2020، ص96، 97).

عاش الطيب معظم حياته خارج السودان، تزوَّج الأسكتلندية (جوليا ماكلين) عام 1965م، وله منها ثلاث بنات، واستقرَّ مع أسرته في جنوب لندن، إلى أن توفي في 2/18/ 2009م. ومن كتاباته السردية: موسم الهجرة إلى الشمال، وعُرس الزين، وضو البيت (بندر شاه)، ومريود (بندر شاه)، ودومة ود حامد، ومنسي، ورسالة إلى إيلين، ونخلة على الجدول، وبلح (يدي النور، 2018، ص53).

ومما سبق، نخلص إلى أن ارتباطه بوطنه وخاصَّة القرية، وتجربته في بلاد الغرب والبلاد العربية، بالإضافة إلى ثقافته الواسعة، قد أغنى تجربته الإبداعية وزادها عمقًا، فأنتج رواية تاريخية إنسانية عن تداعيات الصراع التاريخي القديم والمتجدِّد بين الشمال والجنوب على الطلاب المهاجرين إلى الغرب ومجتمعاتهم، فوجَدَت روايته حظَّها من الاهتمام الإقليمي والعالمي.

ب/ نبذة عن الرواية: تعدُّ الرواية من طليعة النتاج الأدبي في ستينيات القرن العشرين، حيث ظهر مصطلح الرواية الجديدة عام 1963م، الذي أطلقه الروائي الفرنسي (آلان روب جرييه) في كتابه (نحو رواية جديدة) (جرييه، 1980، ص3)، ويصف برادة (1996، ص18) النتاج الروائي في الستينات، بأنه بدأ يتخلَّص من بصمات التقليد والتأثُّر السهل، ليواجه أسئلة الكتابة والنقد ومغامرة البحث والتجدد.

ومن هذه الزاوية يرى برادة أن رواية (موسم الهجرة إلى الشمال)، قد قطعت صلتها مع شكل وموضوعات روائية سائدة، واتَّجهت إلى استئناف الكتابة بطريقة مختلفة، فوُصِفَت بأنها شمولية وحداثية، ارتقت إلى مدارج العبقرية، وخرجت عن المألوف (برادة، 2011، ص115). وأنها شرَّعت الأبواب ولفتت الأنظار إلى قوَّة التخييل والمحكيَّات في مجتمع تقليدي يتوق إلى تحرير الذاكرة ومساءلة التاريخ، وتشييد خطاب منفتح ومتجدد (برادة، 2011، ص120).

وتقوم فكرة الرواية على معالجة مشكلة الهوية الثقافيَّة في أدب ما بعد الاستعمار أو أدب ما بعد المرحلة الكولونيالية، وقد خلَّفت تلك المرحلة استعمارًا ثقافيًّا متأصِّلًا في نظام الحكم والتعليم والثقافة والقِيَم الاستعمارية، التي لا تعترف بثقافة الشعوب المستعمَرة بل تشوِّهها، فإما أن تتولَّد لديهم صورة سلبيَّة عن الذات؛ فيعيشون في اغتراب ثقافيٍّ بعيدًا عن ثقافتهم الأصلية، فيتكوَّن لديهم وعي مزدوج ومنقسم بين ثقافة المستعمِر وثقافة مجتمعهم المحلي، أو يرفضون الأيديولوجية الاستعمارية، ويعملون على إعادة اكتشاف وتأكيد ثقافتهم الأصلية، التي كانت موجودة قبل الاستعمار، والمهمَّتان تواجهان مشكلات كبيرة ومعقَّدة (تايسون، 2014، ص403-405). وهذا ما تُصَوِّرُه لنا الرواية، التي تدور أحداثها في قرية صغيرة في شمال السودان، وقد اتَّخذ الطيب منها موضوعاته الإنسانية، وشخصياته (صالح، 2010، ص8).

بدأت أحداث الرواية بعودة الراوي إلى قريته في شمال السودان، بعد سبع سنوات قضاها مغتربًا في بلاد الفرنجة لإكمال تعليمه، وبينما هو يحكي لأهله عن تجربته فيها، ويستعيد ذكرياته، ويتفقَّد المستجدات في قريته، التقى بمصطفى سعيد الرجل الغريب، الذي أوجدَ لنفسه مكانةً في قلوب أهل القرية، فاستثار فضوله، وأدرك أن هناك سرًّا وراء هذا الرجل، ولكنَّه استمرَّ في مجالسة أهله، يجيب عن تساؤلاتهم، ويحدِّثهم ويصوِّر لهم الحضارة الغربية بوصفه لمدينة لندن وطبيعتها وطقسها، وحياة الناس فيها (صالح، 2010، ص13).

إلا أن شكوك الراوي في مصطفى سعيد قد ازدادت، خاصَّةً بعد أن ردَّد مصطفى قصيدة شعريَّة باللغة الانجليزيَّة في أحد المجالس، فأحسَّ مصطفى بشكوك الراوي، وأدرك إصراره على معرفة ما يضمره، فدعاه إلى بيته، وكشف له سرَّه بعد أن تعهده بحفظه، فعرَّفه على عائلته ونشأته في الخرطوم، ومسيرته التعليمية من الخرطوم إلى القاهرة حيث عائلة السيد روبنسون التي احتضنته، وبعد تفوُّقه أُرسِل إلى لندن، قضى فيها ثلاثين عامًا، أتمَّ دراسته الجامعية، وتخصص في الاقتصاد، وعمل أستاذًا في أرقى الجامعات اللندنية (صالح، 2010، ص61-65).

واستمرَّ مصطفى في سرد حكاياته في بلاد الغرب للراوي، فأخبره بنزواته الجنسيَّة التي لا تهدأ أبدًا مع فتيات ونساء الفرنجة "شيلا غريوند، آن همند، إيزابيلا سيمور"، وكيف كان يغويهن إلى مخدعه في غرفته العجيبة، حيث سحر الجنوب وروحانيته، محاولةً منه للاستعلاء على المكان الغربي والانتقام منه مستعينًا بفحولته الشرقية، فاستغلهنَّ كما كان يفعل الاستعمار ببلده، فوقَعْنَ في شِراكِهِ، فانتحرنَ بعد أن أصابتهن جرثومة الجنوب. أما زوجته جين مورس، فقد قتلها بعد أن أذلته وأهانته (صالح، 2010، ص27-54)، وبسببهن حُكِمَ عليه بالسجن سبع سنوات، ولم تَدْفَع عنه وقفةُ أساتذته المحلَّفين الحكمَ بالسجن (صالح، 2010، ص102، 103).

وبعد خروجه من السجن تشرَّد في أصقاع الأرض من باريس إلى كوبنهاجن إلى دلهي إلى بانكوك، إلى أن عاد إلى قرية مغمورة الذكر في منحنى النيل بشمال السودان، اتَّخذها مستقرًّا له، لعلها تنسيه ماضيه (صالح، 2010، ص77-79)، اشترى له فيها مزرعة، وبنى بيتًا، وتزوَّج من حُسنة بنت محمود، وأنجبَ منها ولدين (صالح، 2010، ص12). وعندما تعرَّضت القرية إلى الفيضان النيلي العنيف، توفي مصطفى سعيد بالغرق، وتركَ للراوي رسالةً مختومةً بالشمع الأحمر، أوصاه فيها بابنَيهِ وزوجته، وترك له مفتاح غرفته المليئة بالكتب وصفحات المجلات والجرائد، والصور والمذكرات والتعليقات، التي تستعيد صورته في لندن من جديد، وتستكملها وتكون شاهدًا على ما سرده للراوي (صالح، 2010، ص74، 75).

وإذا كان مصطفى سعيد قد اختار القطيعة مع الحضارة الغربية، التي أوهمته وأفقدته الطمأنينة وزعزعت هويته، بإنهاء حياته في القرية، فإن الراوي قد استأنف الحياة بعده بابتداع مواقف وأساليب جديدة لاستمرارية المجابهة بطريقة مختلفة عن مصطفى سعيد؛ فقد ادَّى الراوي واجبه تجاه الولدَينِ بعد وفاة مصطفى، والتقى بأرملته حُسنة بنت محمود، وأُعْجِبَ بذكائها وجمالها (صالح، 2010، ص139، 140)، وكانت حُسنة قد طلبت منه الزواج وبطريقة غير مباشرة، لينقذها من ود الريس، الذي تقدَّم لخطبتها من ولاة أمرها، ولكنَّ الراوي لم يصرِّح لها بإعجابه بها، ولم يرد على طلبها. فكانت الفاجعة الغريبة التي لم

تشهدها القرية من قبل؛ قَتَلَت حُسنةُ ودَّ الريس بعد أن فُرِض عليها زوجًا وهي لا ترغب فيه، وقَتَلَتْ نفسها؛ أي انتحرت (صالح، 2010، ص106-139).

أما مكانة الرواية الأدبية، فقد وصفها إدوارد سعيد "بأنها من أفضل ست روايات في الأدب العربي المعاصر" (محجوب، يونيو2020، ص96، 97)، وفي عام 2002م صنَّفتها الأكاديمية العربية للآداب في دمشق بأنها الرواية الأكثر أهميَّة في القرن العشرين، واختِيرَت من بين أفضل مائة رواية في التاريخ (موقع بايوغرافي)، ويرى علي بدر أنها أصبحت مثالًا حيًّا في الدراسات الثقافية، وفي أدب المنفى والهجرة (بدر، 2009/2/26). وتُرْجِمَت إلى أكثر من ثلاثين لغة، ووجدت حظًّا من الدراسات والبحوث العلمية في مؤسسات أكاديمية إقليمية وعالمية مرموقة، وهذا ما ستكشف عنه دراستنا.

المبحث الثاني: صورة القرية المركَّبة في الرواية:

القرية هي الجنوب المفهوم ضمنًا من سياق العنوان، الذي يعدُّ عتبةً يلجُ من خلالها المتلقي إلى عالم النصّ، والجنوب عند الطيب، هو الجنوب المستعمَر الذي يجمع الإنسان العربي بالأفريقي، وهذه هي الثنائية التي يتشكَّل منها النسيج الاجتماعي السوداني. ومصطلح الجنوب يقابله مصطلح الشمال، إلا أن المتداول والمتعارف عليه، أن الشرق جنوب والغرب شمال (طرابيشي، 1997، ص142). الجنوب موطن الطيب، والشمال مهجره، حيث التعليم والعمل، وهذا ما أغنى تجربته الإنسانية وأكسبها عمقًا، ومساحةً جغرافية واجتماعية أرحب، وزادها تأثيرًا. ونتفق مع المتداول في أن الشمال هو الغرب، إلا أننا نرى أن مفهوم الجنوب عند الطيب، يبدو أوسع من الشرق، ويقصد به البلاد العربية والأفريقية، ولا نمانع في استخدام الشرق بدلًا عن الجنوب؛ لأن المصطلح متعارف عليه بين الأمم.

والقرية في مخيِّلة الطيب تمثِّل ركنًا رئيسًا، وحضارةً عربيّةً أفريقيّةً تقابلها الحضارة الغربيَّة في لندن، وحياةً أولية يقابلها التطور والمدنيَّة، وصراعًا بين الجنوب والشمال. وهي القرية التي عاش فيها طفولته وبدايات صباه قبل هجرته، ومن هذه العناصر تشكَّلت مادَّته وأحداثه وشُخُوصه الروائية، وتكوَّنت صورة القرية التي التجأ إليها مصطفى سعيد هاربًا من ماضيه، وعاد إليها الراوي عودةَ الفرع لأصله؛ إذ قال: "أحسُّ أنني لستُ ريشة في مهب الريح، ولكنّي مخلوق مثل تلك النخلة، مخلوق له أصل، له جذور له هدف" (صالح، 2010، ص12).

أما صورة القرية في الرواية، فلا نعني بها المفهوم المباشر للقرية، وإنما نقصد بها رمزية صورة القرية للمجتمع المحلي العربي الأفريقي المستعمَر في شمال السودان. وقد يتساءل القارئ، أين المجتمع الشمالي (المستعمِر)؟ فالمجتمع الشمالي له حضوره القوي في الراوية، وهو النظير لمجتمع القرية، ويُرْمَزُ له بمدينة لندن، إلا أننا لم نتعرَّف عليه إلا من خلال ما سرده الراوي لمجتمع قريته بعد عودته من لندن، وما أسرَّ به مصطفى سعيد للراوي في القرية، بالإضافة إلى شخصية المؤلِّف المتوارية فيما وراء سطور الرواية.

وهذا يؤكِّد أن رمزية صورة القرية هي المكان الرئيس لعناصر الرواية، وهي مركَّبة من صورة محليَّة لموقعها وطبيعتها وحياة أهلها الثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية، ومن صورة غربيَّة محكيَّة على لسان مصطفى والراوي بعد عودتهما إلى القرية، وهما يمثِّلان تجربة الجيل الأول والجيل الثاني من الطلاب المبتعثين إلى الغرب لتكملة تعليمهم. وإذا كان المكان عند (غاستون) صورةً فنيةً (باشلار، 1987، ص6)؛ فإن رمزية صورة القرية المركَّبة تمثِّل المسرح، الذي تدور فيه أحداث الرواية، ومراحل تطويرها داخل النص، من خلال حركة الشخصيات.

أ/ صورة القرية المحليَّة في الرواية: تقع القرية في شمال السودان "عند منحنى النيل. النهر بعد أن كان يجري من الجنوب إلى الشمال، ينحني فجأة في زاوية تكاد تكون مستقيمة، ويجري من الغرب إلى الشرق، المجرى هنا متَّسع وعميق، ووسط الماء جُزُر صغيرة مخضرَّة، تحوم عليها طيور بيضاء، وعلى الشاطئين غابات كثيفة من النخل، وسواقي دائرة، ومَكَنة ماء من حين لآخر" (صالح، 2010، ص72).

وبيوت القرية على الشريط الأخضر بين حافة الصحراء وشاطئ النهر، تتخللها الحقول أو تفصل بينها وبين النهر، فهي متلاصقة، مبنية من الطين والطوب الأخضر، حيطانها ملساء مطلية بمادة من الرمل الخشن والطين الأسود وزبالة الهائم، وكذلك السطوح. والأسقف من جذع النخيل وجريده وخشب السُّنط. وطقسها حارٌّ صيفًا وبارد شتاءً، يلطِّفُه هواء بارد من ناحية النهر، وسط هجير الصحراء (صالح، 2010، ص79). ودورة الحياة عندهم مواسم: موسم للفيضان وموسم للزراعة وموسم للحصاد. وأحيانًا يفقرهم القحط، ويصيبهم الطاعون والمجاعات والحروب وفساد الحكام (صالح، 2010، ص55-83). وحرفتهم الزراعة والاحتطاب، وتربية القليل من الأنعام (صالح، 2010، ص12-82).

والقرية لا تختلف عن قُرَى شمال السودان، تضجُّ بالحركة وبالحياة، فأهلها يتنقَّلون ما بين البيوت والحقول والنيل والقُرَى المجاورة بأقدامهم وعلى الدواب والقوارب والمراكب الشراعية (صالح، 2010، ص73). وصوت الريح وهي تمرُّ بالنخل وبحقول القمح، وهديل القمري، وصوت الديك عند الفجر (صالح، 2010، ص12)، وأنين السواقي، وتَصَايُح الناس في الحقول، وخوار ثور أو نهيق حمار، وأمواج النهر ترتطم بضفتَي النيل، والرجال قاماتهم متكئة على المحاريث، أو منحنية على المعاول، وطائر يغرِّد وكلب ينبح، وصوت فأس في الحطب (صالح، 2010، ص14، 15)، والسماء صافية، والنجوم متوهجة (صالح، 2010، ص58)، كلها حركة تؤكد أن مصير القرية مرتبط بمصير الحقل (صالح، 2010، ص82)، والنيل يشكِّل عصبَ حياةِ أهلها، فهو الذي لولاه لم تكن بداية ولا نهاية (صالح، 2010، ص79).

ومجتمع القرية في الرواية بسيط في تكوينه، وفي طريقة عيشه، "الناس طيبون، عشرتُهم سهلة" (صالح، 2010، ص19)، ويبدو لك المجتمع هادئ في

الشكل، ولكنه من حين لآخر، لا يخلو من العُقَد النفسية والاجتماعية والسياسية في بعض أفراده. ويمكن أن نتعرَّف على مجتمع القرية من خلال التعريف بأشخاص القرية في الرواية:

الراوي: ابن القرية الذي تلقَّى تعليمًا حداثيًّا مختلفًا، وعَمِل بالتربية والتعليم، وهو يمثِّل الرجل المستنير بوعيه، ولكنَّه قد حيَّد نفسه، فلم يؤثِّر في مجتمع القرية، مع إنه احتكَّ بمصطفى سعيد وعَرف قصته العجيبة، وأمِنَه مصطفى ووثق به، وأوكل إليه رعاية ابنَيهِ وزوجته، إلا أنه -وبعد موت مصطفى- أحبَّ أرملته حُسنة بت محمود التي ترجَّته لينقذها بالزواج منها حتى لا يُفرَض عليها الزواج من ود الريس الطاعن في السن، لكنَّه لم يجد إلى ذلك سبيلًا؛ إذ قال: "لكنَّني الآن أسمع صوتًا واحدًا فقط، صوت بكائها الممض، ولم أفعل شيئًا، جلستُ حيث أنا بلا حراك، وتركتها تبكي وحدها لليل حتى سكتَتْ" (صالح، 2010، ص104).

مصطفى سعيد: المحور الرئيس للرواية، وُلِد في ضواحي الخرطوم، ونشأ يتيمًا، مات والده قبل أن يُولَد ببضعة أشهر (صالح، 2010، ص29)، أمُّه فاطمة عبد الصادق من قبيلة الزاندي أو الباريا، ووالده سعيد من قبيلة العبابدة، التي تعيش بين مصر والسودان (صالح، 2010، ص63)، بدأ تعليمه بالخرطوم، وابتُعِثَ إلى القاهرة ثم إلى لندن لتكملة تعليمه، ولما عاد إلى السودان بعد ثلاثين سنة قضاها في أوروبا، مليئة بالأحداث والمواقف التي صنعت منه بطلًا للرواية (صالح، 2010، ص30-45)، عَمِل بالتجارة ثم تحوَّل إلى الزراعة بعد استقراره في القرية شمال السودان، وزواجه من حُسْنَة بنت محمود. وكان عضوًا في اللجنة الزراعية لمشروع القرية، تولَّى حساباتها. وذكر الراوي أنه كان أحقَّ برئاسة اللجنة، لكن ربما لأنه ليس من أهل البلد، فلم ينتخبوه (صالح، 2010، ص22)، رغم أنه صاحب رؤية ثاقبة، يعرف مقدَّرات وطنه وحاجات قريته الخدميَّة؛ فكان يُفَضِّل أن تولي الدولة الاهتمام بعلوم الزراعة (صالح، 2010، ص19)، وله دور كبير في إقامة طاحونة الدقيق، وشراء عَشَر شاحنات لنقل البضاعة؛ لذا كان مكروهًا لدى العمدة والتجار الفاسدين؛ لأنه فتح عيون أهل البلد، وأفسد عليهم أمرهم (صالح، 2010، ص110، 111). وكل هذا ومصطفى شخصية يكتنفها الغموض، وتشكِّل غرفته الخاصة في بيته، مستودعَ الأسرار ومكمنَ المغامرات في بلاد الفرنجة (صالح، 2010، ص116).

وهنا لابد أن نُشِيرَ إلى نوع التعليم الذي تلقَّاه كل من الراوي ومصطفى سعيد، فهو تعليم لا يخرج عن الفكر الاستعماري الأوروبي المركزي، الذي يتمثَّل في المدارس البريطانية التي أنشئت في مستعمراتها، من أجل غرس الثقافة والقِيَم البريطانية في الشعوب المستعمَرة، وبرمجة عقولهم على الاعتقاد بالتفوق البريطاني، وهكذا الاعتقاد بدونيتهم (تايسون، 2014، ص403). ونرى أن هذا الهدف يتعارض مع طبيعة النفس البشرية، التي لا يمكن أن ترضخ لهذا الاعتقاد مهما طال أمده، وهذا هو الصراع الذي شكَّلت تداعياته الفكرة الرئيسة للرواية.

محجوب: صديق طفولة الراوي، ورئيس لجنة المشروع الزراعي والجمعية التعاونية، وعضو في لجنة المركز الصحي، والمسؤول عن رفع الظلامات إلى مركز المديرية، وأحد زعماء الحزب الوطني الاشتراكي الديمقراطي في البلد (صالح، 2010، ص108).

ود الريس: رجل بلغ السبعين، ميسور الحال، اشتهر بكثرة الزواج والطلاق، وله عدد من الزوجات، آخرهن حُسنَة بنت محمود التي فُرِض عليها الزواج منه، فقتلتْه وانتحرتْ (صالح، 2010، ص134).

بنت مجذوب: المرأة الطويلة المسترجلة، لونها فاحم، فيها بقايا جمال وهي تقارب السبعين، يتسابق الرجال والنساء لسماع حديثها؛ لما فيه من جرأة وعدم تحرُّج، وكانت تدخِّن السجايرُ وتشرب الخمر، وتحلف بالطلاق كأنها رجل، ويقال: أمُّها كانت ابنة أحد سلاطين الفور، تزوَّجت عددًا من خيرة رجال البلد، ماتوا كلهم، وأنجبت منهم ولدًا واحدًا وعددًا لا يُحصَى من البنات، اشتُهِرنَ كأمِهِنَّ بالجمال والجرأة (صالح، 2010، ص86). فهي شخصيَّة فكهة ومرحة ومضحكة، الناس يرونها غريبة الأطوار، ولكنها بمثابة ثورة تفضح المسكوت عنه بالشفافية والحوار.

حُسْنَة بنت محمود: أرملة مصطفى سعيد، ولها منه ولدان: محمود وسعيد، وهي مثال للمرأة الوفية لزوجها؛ وتؤكِّد ذلك في قولها: "بعد مصطفى سعيد، لا أدخل على رجل" (صالح، 2010، ص105). وَصَفَ الراوي محاسنها بأنها ممشوقة، ريَّانة ممتلئة، شفتاها لعساوان وأسنانها قوية بيضاء، وجهها وسيم، وعيناها سوداوان واسعتان، وناعمة وبضة، نبيلة الوقفة، أجنبيَّة الحسن (صالح، 2010، ص97، 98).

وفي القرية شخصيات ثانوية أخرى، تشكِّل نسيج القرية الاجتماعي، وتلعب دورًا في الربط والتفاعل بين شخصيات الرواية الرئيسة، وتسهم في صناعة الأحداث، ونذكر منها: أم الراوي وأبوه، وأخته وأخواه، وجده حاج أحمد، وأعمامه: عبد المنَّان وبكري وعبد الكريم، والعمدة وسعيد التاجر ونساء القرية، وعيسى عمّ ود الريس، ومبروكة: إحدى زوجات ود الريس (صالح، 2010، ص112-135).

والصورة الاجتماعية لأهل القرية، يغلب عليها الطابع الجماعي في أفراحهم وأتراحهم (صالح، 2010، ص16) وحلِّهم وترحالهم (صالح، 2010، ص122، 123)، يحتفلون بختان أبنائهم؛ فيُحضِرون المغنين والمدَّاحين لتخليد ذكرى طفولتهم (صالح، 2010، ص97). و"لا يُبالون بعبارات المجاملة، يدخلون في الموضوع دفعة واحدة، يزورونك ظهرًا كان أو عصرًا، لا يهمهم أن يقدموا المعاذير" (صالح، 2010، ص17). وعندما يعود المهاجر أو المغترب إلى قريته يجوب البلد طولًا وعرضًا معزيًا ومهنئًا (صالح، 2010، ص14، 15). والجدُّ يحكي لأبنائه وأحفاده الصغار حكايات الماضي التي تشكِّل وجدانهم وتغرس فيهم القيم والمبادئ والفروسية (صالح، 2010، ص15). وهذه العادات والتقاليد الإيجابية للقرية في شمال السودان، تشابه قُرَى السودان المختلفة.

ومن عاداتهم السلبية في الرواية، تعاطيهم للدخان، وليالهم الحمراء (صالح، 2010، ص22-26). وختان الإناث؛ ويتَّضح ذلك من خلال مفهوم بنت

مجذوب لنساء النصارى في حوارها مع الراوي بعد رجوعه من لندن (صالح، 2010، ص14). وهذه العادة من العادات الضَّارة التي تنتهك حقوق المرأة في الريف، إلا أن المجتمعات الريفية وفي كل قُرَى السودان وبفضل التعليم والوعي الجمعي نوعًا ما قد تخلَّت عنها.

ومجتمع القرية لا يختلف عن المجتمعات الشرقية فهو مجتمع ذكوري، للرجال كلمتهم العليا، يتحكَّمون في تسيير دفة الحياة في القرية، والمرأة لا مكانة لها عندهم، فهي في وصف الراوي لود الريس بأنه: "يبدل النساء كما يبدل الحمير" (صالح، 2010، ص105)، وفي قول ود الريس للراوي بعد علمه برفض حسنة بنت محمود الزواج منه، وشكِّه فيما كان بينها وبين الراوي: "إنها ستتزوجني رغم أنفك وأنفها، أبوها قَبِل وإخوانها قَبِلوا...هذا البلد الرجال فيه قوَّامون على النساء" (صالح، 2010، ص106، 107). إلا أنها قتلته وانتحرت، ولم يستطع الراوي إنقاذها بعد أن طلبت منه أن يتزوَّجها زواجًا صوريًّا (صالح، 2010، ص138).

استنكر محجوب جرأة حسنة وفعلتها، فوصفها بالجنون قائلًا: "عشنا ورأينا النساء تخطب الرجال...إنها لم تكن تساوي مليمًا، لولا الحياء ما كانت تستاهل الدفن، كنَّا نرميها في البحر أو نترك جثتها للصقور" (صالح، 2010، ص139، 140). أما الراوي ولشيء في نفسه، فكان يصفها بأنها من أعقل وأجمل نساء القرية، وهي لم تكن مجنونة (صالح، 2010، ص139).

ويبقى مقتل حسنة وود الريس حدثًا استثنائيًا لم تشهده القرية من قبل، ولكنَّه يؤسس لِلَبِنَةٍ ثورية قوية، تهدف إلى تحرير المرأة من القبضة الذكورية التقليدية؛ وهذا ربما يعود إلى تأثير الشريحة المستنيرة من أبناء القرية، التي تتجسَّد في الراوي ومصطفى سعيد وغيرهما من أبناء البلد.

ولسنا هنا بصدد الوقوف عند هذه القضايا الاجتماعية المعقَّدة في مجتمع القرية؛ لأن مجال البحث لا يسمح بذلك، ولكنَّا قصدنا أن نُشِيرَ إلى ما يلمِّح إليه المؤلِّف في ماورائيات النصِّ من قضايا اجتماعية مصاحبة للفكرة الرئيسة للرواية. وأن نبيِّن –أيضًا - أن المؤلف لم يكتف فقط في روايته بالجوانب الإيجابية، وإنما تعرَّض –أيضًا- للجوانب الاجتماعية السلبية في مجتمع القرية، التي تحتاج إلى أن يلتفت المجتمع لمعالجتها.

أما الجانب السياسي في القرية، فنجده في سخط أهلها من الحكَّام الذين لم يقدِّموا لهم الخدمات، ويصل بهم الأمر أحيانًا من شدَّة السخط إلى تفضيل المستعمِر على حكامهم، ولا غرابة في ذلك، فهذه آمالهم وطموحاتهم وتطلعاتهم إلى مجتمع مدنيٍّ تتوفَّر فيه سبل الحياة والعيش الكريم؛ يقول عبد المنَّان عمُّ الرواي: "شفخانة، لهم حَوْلٌ لا يستطيعون بناءها...وكل الذي يفلحون فيه، يجيئون إلينا مرَّة كل عامَيْنِ أو ثلاثة، بجماهيرهم ولواريهم ولافتاتهم...يعيش فلان ويسقط علان، كُنَّا مرتاحين أيام الإنجليز من هذه الدوشة" (صالح، 2010، ص74)، ويهتفون: "عاش الحزب الوطني الديمقراطي الاشتراكي" (صالح، 2010، ص74)، وهنا إشارة إلى تنافس الأحزاب السياسية في السلطة، وإلى النَّفَس اليساري الذي يعتمد على الفلاحين والعمال في صناعة الثورات، وهذا ما أسرَّ به الراوي في نفسه من خلال حديثه مع عمِّه (صالح، 2010، ص74)، وربما يعبِّر ذلك عن توجُّهه السياسي، ولكنه في نفس الوقت يعكس النضج السياسي عند المستنيرين من أبناء القرية، أمثال الراوي ومصطفى سعيد، اللَّذَينِ نالا حظًّا من التعليم الحديث في بلدهم وبلاد الغرب، فزاد وعيهم بخطر المستعمِر على بلادهم، يرفضون تسلط مفتش المركز الإنجليزي الذي نصَّب نفسه إلهًا يغفر ويرحم لمن يشاء، ويتصرَّف في رقعة أكبر من الجُزُر البريطانية، ويتذمَّرون من عملاء المستعمِر، الذين غرسوا في قلوب الناس بغضًا، وفي نظرهم، هم من أراذل الناس (صالح، 2010، ص63).

وكثيرًا ما يتساءلون، ألم تستقل البلاد الآن؟ ألم نصبح أحرارًا؟ (صالح، 2010، ص63) بالإضافة إلى أنهم كانوا يشعرون بالدُّونيَّة في بلاد الغرب؛ وذكر الراوي أن "الرجل الأبيض، لمجرد أنه حكمنا في حقبة من تاريخنا، سيظل أمدًا طويلًا يحسُّ نحوَنا بإحساس الاحتقار الذي يحُسه القوي تجاه الضعيف" (صالح، 2010، ص69). وهذا ما جعلهم ينقمون على المستعمِر وعملائه، ويبطنون في أنفسهم رغبة الانتقام، كما كان المستعمِر يخفي أهدافه، وقد تجلَّ ذلك في ممارسات مصطفى سعيد الانتقامية في لندن، وقوله في نفسه: "إنني جئتكم غازيًا" (صالح، 2010، ص69). وما هذا الرفض والتَّوق إلى الحرية والشعور بالدونية والرغبة في الانتقام، إلا تداعيات ما بعد المرحلة الكولونيالية على هُويتهم الاجتماعية والثقافية والسياسية والفكرية، التي يحاولون استعادتها، ورسم معالم مستقبلهم.

وأهل القرية لا يعنيهم هذا الوعي بقدر ما كانوا يهتمون بتحقيق مطالبهم الخِدَميَّة؛ ينتقدون رموزهم التي تمثِّلهم؛ ويرفضون التسويف والمماطلة ومضيعة الوقت في المؤتمرات، ومركزية الخدمات في العاصمة والمدن الكبيرة (صالح، 2010، ص126)، إلا أن سلطات رموزهم محدودة فلا يستطيعون فعل شيء؛ فالراوي ممثِّل الحزب الوطني الديمقراطي الاشتراكي للقرية في ردِّه على انتقاد محجوب له قال: "الموظَّفون أمثالي لا يستطيعون أن يغيِّروا شيئًا، إذا قال سادتنا افعلوا كذا فعلنا" (صالح، 2010، ص129). وسَخْطُ أهل القرية وتبرُّمهم ونقدهم لا يقتصر على رموزهم فقط، بل يشمل الحكَّام الذين لا يفكِّرون إلا في السلطة، والطبقة الطفيلية المتمثلة في جَشَع العمدة والتجار، وكرههم للمُصلِحين من أفراد القرية (صالح، 2010، ص111).

وديانة أهل القرية الإسلام؛ يصلُّون أوقاتهم الخمسة في المسجد، يتراحمون في ما بينهم، ويتكاتفون في السَّراء والضَّراء كعادة أهل السودان جميعًا، وتسيطر عليهم نزعة التصوُّف، التي تتوارى خلف رموز لوازم الصلاة عند جَدِّ الراوي (الفَرْوَة) التي يصلي عليها، و(إبريق الصلاة) المصنوع من النحاس وعليه تصاوير ونقوش، و(طشت) من نحاس، و(مِسْبَحَة) من خشب الصندل، يداعب حباتها، ويمسح بها وجهه ويستنشق رائحتها، ويضرِب بها أحفاده على رؤوسهم إذا غَضِب منهم اعتقادًا منه بأنها تطرد الشيطان، ورائحة الضريح الكبير (صالح، 2010، ص82)، و(القِبَاب) العشر وسط المقبرة (صالح، 2010، ص129).

وانتقلت نزعة التصوف هذه مع مصطفى سعيد إلى لندن؛ ففي حديثه مع إحدى فتيات الفرنجة كان يرى "أن أبا نواس كان متصوفًا، وأنه جعل الخمر رمزًا حمَّله جميع أشواقه الروحية، وإن توقه إلى الخمر في شعره كان في الواقع توقًا إلى الفناء في ذات الله" (صالح، 2010، ص150).

ومن خلال اطلاعنا على مجتمع القرية، لم نجد غير نزعة التصوف لأهلها، والراوي في سرده للرواية، لم يُشِر إلى تنوُّع ديني أو صراع مذهبي عند أهلها، بل إن مصطفى سعيد في رحلته التعليمية إلى لندن، قد حمل معه فلسفة التصوف، واستغلَّها في إشباع رغباته الغرائزية، والوصول إلى أهدافه الانتقامية من الغرب.

وقد يتساءل المتلقّي: لِمَ أَسْهَبْنا في وصف القرية؟ وهذا حقُّه، ولكننا قصدنا إبراز طبيعتها وجوانبها الثقافية الاجتماعية والسياسية والدينية، وما بها من بساطة وتعقيد، ووضوح وغموض، وتقليدية وحداثة؛ لنُبَيّنَ أهليتها لأن تكون مصدرَ إلهام للمبدعِين، وتكوينها العروبي الأفريقي المناهض للغرب، ودورها في صُنعِ الحضارة ورسم المستقبل، وامتلاكها مقوِّمات الخروج من المحلية إلى العالمية.

وتظل رمزية صورة القرية التي تشكَّل منها وجدان الطيب، مصدرَ إلهامه، ورمزًا لانتمائه المتجذر لوطنه السودان، فاختار منها نماذجه الإنسانية في أغلب أعماله الروائية، ونظر إليها نظرةً إيجابية، انعكست في بساطة أهلها وتكافلهم وتعاونهم، وتمسُّكهم بأرضهم، ودفاعهم عنها بالغالي والنفيس. وكشف عن سلبياتها؛ فأهلها يتخوَّفون من التجديد، يمارسون بعض العادات والتقاليد الضارة بالمجتمع، ولا يزال الغريب عندهم يشكِّل هاجسًا لهم (مدقن، مايو2005، ص144).

ب/ صورة المدينة على لسان مصطفى سعيد والراوي: المدينة المقصودة في الرواية، فهي ليست القاهرة، التي أكمل فيها مصطفى سعيد تعليمه الثانوي وزار معالمها، واستقبله فيها مستر روبنسون وزوجته؛ فالقاهرة في نظره لا تخرج عن رمزية القرية للجنوب المستعمَر، ولكنها محطة عبور وعتبة لابد أن يتجاوزها إلى لندن حيث المآرب والغايات (صالح، 2010، ص37، 38). وإنما هي مدينة لندن ومكوناتها وملحقاتها، فهي المكان الذي اتَّخذه الطيب رمزًا للغربة وبيئة المستعمِر الشمالي، ولندن هي موضع هجرته، وهجرة بعض أشخاص الرواية وهما: مصطفى سعيد والراوي. وتُعدُّ غرفة مصطفى سعيد اللندنية التي تقابل غرفته السريّة في القرية، من أبرز الأماكن في لندن؛ لأنها غرفة عمليات، وساحة معركة وتصفية حساب مع المستعمِر في أرضه (صالح، 2010، ص43).

أما صورة المدينة على لسان مصطفى سعيد، الذي يعدُّ من الجيل الأول للطلاب المهاجرين إلى لندن لإكمال تعليمهم، فهي تمثِّل الحضارة الأوروبية الغربية التي أبهرت ابن القرية الشرقية البسيطة، القريبة من خط الاستواء، يحمل حرَّها إلى بلاد الثلج، إما أن يذوب فيه فيعود مضطرب النفس والهُوية، فينزوي في بلده هربًا من ماضيه، أو يهرب منها سالمًا غانمًا إلى بلاده (موسى، 1972، ص294).

وقد خَبِرَ مصطفى سعيد نوايا المستعمِر المبطنة تحت شعار حقوق الإنسان، بقوله: "البواخر مخرت عرض النيل أول مرة تحمل المدافع لا الخبز، وسكك الحديد أنشئت أصلًا لنقل الجنود، وقد أنشأوا المدارس ليعلمونا كيف نقول (نعم) بلغتهم، إنهم جلبوا إلينا جرثومة العنف الأوروبي الأكبر الذي لم يشهد العالم مثيله من قبل" (صالح، 2010، ص104).

ومصطفى سعيد المهاجر ليس رجلًا عاديًا خاضعًا، فهو يحمل في ذاكرته موروثًا من الطقوس والمعتقدات والعادات والأحقاد، فوجوده في الشمال المستعمِر ليس للتعليم فقط، بل هو فرصة للمجابهة، وطرح الأسئلة المسكوت عنها (برادة، 2011، ص114)؛ لذا نصَّب مصطفى نفسه غازيًا لبلاد الغرب، فاستغلَّ طبيعة الجنوب وسحر الشرق وروحانيته في إغواء ضحاياه من الفتيات اللندنيات بهدف الانتقام من الغرب، إلا أنه سرعان ما أبهرته الحضارة الغربية والتقدم والتطور، وعاش تنازعًا واضطرابًا أفقده هُويته، وعاد إلى بلده مفضلًا الانزواء والتخفي في قرية مغمورة من قرى شمال السودان.

ولمصطفى سعيد عالمه الخاص، الذي يشكّل جزءًا مهمًا من مجتمع الرواية، نذكر منه مستر روبنسون وزوجته أليزابيث، وهما اللذان أحسنا استقباله في القاهرة، وروبنسون كان يحسن اللغة العربية، ويعنى بالفكر الإسلامي والعمارة الإسلامية. وزوجته أليزابيث كانت حانية على مصطفى فهي التي ربَّتت على رأس مصطفى يوم حُكِمَ عليه بسبع سنوات في محكمة (الأولد بيلي) بلندن، وقالت له: لا تبكِ يا طفلي العزيز (صالح، 2010، ص34-36).

وفي لندن وفي غرفة نومه التي أَطلقَ عليها اسم المقبرة، وأحيانًا غرفة عمليات المستشفى (صالح، 2010، ص40، 41)، نتعرَّف على ضحاياه من الفتيات والنساء الغربيَّات وهن:

آن همند: فتاة دون العشرين، ابنة ضابط في سلاح المهندسين، وأمُّها من العوائل الثرية في ليفربول، وعمَّتها زوجة نائب في البرلمان، قضَتْ طفولتها في مدرسة راهبات، ثم درست اللغات الشرقية في جامعة أكسفورد (صالح، 2010، ص40).

شيلا غرينود: امرأة قروية بسيطة من ضواحي مدينة (هِل)، تعمل خادمةَ مطعمٍ بالنهار، وبالليل تواصل دراستها في (البوليتكنيك)، كانت ذكية تؤمن بأن المستقبل للطبقة العاملة، وسيأتي يوم تزول فيه الفروق ويصبح الناس إخوة (صالح، 2010، ص146).

إيز ابيلا سيمور: امرأة في حدود الأربعين من العمر، من أمٍّ إسبانية (صالح، 2010، ص52)، زوجة جرَّاح ناجح، وأمٌّ لابنتَينِ وابن، متدينة تذهب بانتظام إلى الكنيسة في كل يوم أحد، وتساهم في جمعيات البِرّ (صالح، 2010، ص147).

جين مورس: فتاة أرستقراطية من ليدز، أبوها تاجر، ولها خمسة إخوة، كانت كذوبًا ولكنها مفرطة في الذكاء والظُّرْف (صالح، 2010، ص163، 164)، تكره مصطفى ولا تكلِّمه، وتصفه بأنه بَشِعٌ وأنه ثَورٌ هَمَجِيٌّ (صالح، 2010، ص40-43)، ولم تقبل الانصياع لمصطفى إلا بشروطها، حتى بعد أن تزوَّجها؛ فلم تمكِّنه من نفسها، وتسبَّبت له في الكثير من الحرج والمتاعب، واحتقرته وأذلته؛ فهشَّمت أزهريته، وأحرقت المخطوط القديم والمصلاة، وكانت تخونه وتعترف بخيانتها، وتُشْعِرُه بإمكانية الاستغناء عنه متى شاءت، فهددها بالقتل، إلا أنها لم تَخَفِ منه، تُسْمِعُهُ قولها: "إنك ليس من الرجال الذين يقتلون" (صالح،

2010، ص163-172)، فزاد حقده عليها فقتلها؛ لأن خِداعها في نظره امتداد للخداع التاريخي، وقتلُها، فيه إحقاق للحق التاريخي الذي سلبته منه.

ولابد أن نشير هنا إلى أن جين مورس كانت رمزًا للحضارة الغربية المتفوّقة، التي لا تسلِّم نفسها لغيرها إلا إذا قَطعَته عن ماضيه، وجرَّدته من موروثاته (طرابيشي، 1997، ص164)، والحضارة الغربية تقسِّم العالم بين "نحن" (أي المتحضرين) و"هم" (الآخرون) أو (لهمجيون). وعادة ما يعدُّ الهمجي شريرًا بالإضافة إلى كونه دونيًا، ولكنه يعدُّ في بعض الأحيان، أنه يمتلك جمالًا بدائيًا أو نبُلًا سببه القرب من الطبيعة، فيظل عندهم غريبًا واستثنائيًا أو غير اعتيادي إلى حدٍّ مثير، وفي كلتا الحالتين يظل الهمجي هو الآخر، وهو ليس إنسانًا كاملًا في نظرهم (تايسون، 2014، ص402). ومصطفى سعيد كان همجيًا شريرًا ودونيًا في نظر جين موريس، وكان بدائيًا نبيلًا ومن عالم آخر في نظر آن همند وإيزابيلا سيمور وشيلا غرينود.

ومن الأساتذة الذين درَّسوا مصطفي سعيد بجامعة أكسفورد، ودافعوا عنه في المحكمة بعد قتله للفتيات وزوجته جين مورس، نذكر:

سيرآرثر: المدَّعي العمومي في محكمة لندن، وأستاذ مصطفى سعيد في القانون بجامعة أكسفورد (صالح، 2010، ص41)، فهو مشهور بصلاته مع اليسار والأوساط البوهيمية، يسكن (سافرون ولدن) (صالح، 2010، ص103).

البروفسير ماكسول فستركين: المحامي وأستاذ القانون بجامعة أكسفورد، دافع عن مصطفى بقوله: "مصطفى سعيد يا حضرات المحلَّفين إنسان بريء، استوعب عقله حضارة الغرب، ولكنها حطَّمت قلبه" (صالح، 2010، ص42). وكان فستر ماسونيًا، ومن المؤسِّسين لحركة التسلح الخلقي في أكسفورد، وعضوًا في اللجنة العليا لمؤتمر الجمعيات التبشيرية في أفريقيا. تتلمذ على يديه مصطفى سعيد، ولكنَّه كان متبرمًا منه فقال له: "أنتَ يا مستر سعيد خير مثال على أن مهمتَنا الحضارية في أفريقيا عديمة الجدوى" (صالح، 2010، ص102، 103).

وتجربة مصطفى سعيد مع ضحاياه من النساء والفتيات، تبيّن أنه اتَّخذ الجنس وسيلةً للانتقام من حضارة كاملة جَنَتْ على غيرها من الأمم. ويؤكِّد عبد الرحمن محمد أن النزعة الجنسية في الرواية ترجع إلى أن مؤلف الرواية الطيب متأثِّر بالمدرسة الفرويدية، التي ترى أن الجنس هو الدافع لفعل كل شيء، وأنه الغريزة الإنسانية التي لها تحكم مطلق في الجوانب الأخرى لحياة ونشاطات الإنسان (يدي النور، 2018، ص27-30). والوقوف على هذا الموضوع، يحتاج إلى دراسة أخرى، ولكنا نشير وباختصار شديد إلى أن هذه الغرائزية في الرواية، لا تخرج عن أثر الحضارة الغربية المنفتحة على هُوية الإنسان العربي والأفريقي المهاجر إلى أوروبا في مرحلة الاستعمار وما بعدها، وقد سلَّط الطيب الضوء عليها، من خلال شخصية مصطفى سعيد المضطربة والممزقة، ووضع لها معالجة بعودته إلى وطنه وفطرته الأولى، وزواجه من حُسنة بنت محمود وإنجابه لولدَين منها.

أما الجيل الثاني من الطلاب المبتعثين إلى لندن فيمثله الراوي، الذي عاد إلى قريته بعد أن أكمل تعليمه في لندن، ليصطدم فيها بشخصية مصطفى سعيد الرجل الغريب الغامض، الذي أجمع أهل القرية على احترامه وتقديره؛ لأدواره الاجتماعية والإصلاحية، إلا أنَّ الراوي يمتاز عنه بتجربته المتوازنة الواعية، التي أوصلته إلى نزعة إنسانيَّة، لا تفرِّق بين البشر، وما بين أهل الجنوب وأهل الشمال، وتبيَّن لنا ذلك من خلال حواره مع مجتمع قريته بعد عودته؛ إذ قال عن الغربيين هم "مثلنا تمامًا يولدون ويموتون، وفي الرحلة من المهد إلى اللحد يحلمون أحلامًا بعضها يصدق، وبعضها يخيب، يخافون من المجهول، وينشدون الحب، ويبحثون عن الطمأنينة في الزوج والولد، فيهم أقوياء وبينهم مستضعفون، بعضهم أعطته الحياة أكثر مما يستحق، وبعضهم حرمته الحياة" (صالح، 2010، ص13). وهذه نزعة إنسانيَّة خالصة، لا تتأتَّى إلا من شخص مستنير، تجاوز عقدة المستعمِر وعقدة العنصرية إلى رحاب أوسع.

ومما سبق يتَّضح لنا أن صورة مدينة لندن برواية مصطفى والراوي، ترمز إلى أرض المستعمِر، والحضارة الغربية، والمجتمع الغربي المنفتح المستنير، مما جعلها مقصدًا للطلاب العرب والأفارقة المبتعثين للتعليم فيها، أمثال: الطيب ومصطفى سعيد والراوي، فاحتضنت تجاربهم، وأثَّرت فيهم، وتفاعلوا مع مجتمعها؛ فمنهم مَن آثر البقاء دون أن يقطع صلته بوطنه، ومنهم مَن نالَ مقصده وعاد غانمًا ومتَّزنًا لوطنه، ومنهم مَن أتاها غازيًا منتقمًا، إلا أنها أبهرته وأفقدته هويته، وأعادته عاجزًا عن مواجهة ماضيه، تحت تأثير الصدمة الحضارية.

وهذه الصورة المركَّبة للقرية، تؤكِّد أن رمزيتها لم تقتصر عليها؛ وإنما شملت الشمال والجنوب، وشكَّلت فضاءً روائيًا رحبًا جمع بين الغرب والشرق، وألهمَ الطيب الفكرة، ووفَّر له كلَّ عناصر الرواية، وأمدَّه بالأدوات التي أعانته على سَبْرِ أغوار المرحلة الكولونيالية وما بعدها، وتداعياتها على هُوية الشخصية العربية الأفريقية، فجاءت روايته معبرةً عن الواقع القائم والحاضر المتخيَّل، وهذا ما لفت إليها انتباه القرَّاء والباحثين محليًّا عالميًّا، فاشتهرَتْ وانتشرَتْ على نِطَاقٍ واسعٍ.

المبحث الثالث: عالميَّة صورة القرية المركبة في الرو اية:

وقبل الخوض في عالمية صورة القرية، يجب أن نوضِّح مفهوم مصطلح العالمية، حتى يتبيَّن للقارئ المقصد منه في دراستنا. والعالميَّة في الأدب عند تايسون تعني المركزية الأوروبيَّة في الدراسات الأدبيَّة، فهي فلسفة طويلة الأمد، يحكم منظروها على النص الأدبي بالنظر إلى عالميته؛ إذ يجب أن يحتوي على شخصيات وموضوعات عالمية مشابهة للموجودة في الأدب الأوروبي (تايسون، 2014، ص402). وهذه العالمية الأوروبية في الأدب -في نظرنا - ليست إنسانية خالصة، تعرِّف الأمم بآدابها؛ لأنها تقوم على الفوقية والاستعلاء، ويغلب عليها الطابع البراغماتي الذي يوظِّفها في استمرار بسط الهيمنة السياسية والفكرية والثقافية على الآخر. إلا أن مصطلح عالمية الأدب، قد تطوَّر إلى مفاهيم أخرى عند المختصِّين في الدراسات الأدبية النقدية المقارنة.

فالعالميَّة عند هلال هي "خروج الآداب من حدودها القومية، طلبًا لكل ما هو جديد مفيد تهضمه وتتغذى به" (2009، ص94)، فالأدب إذا كان لا يخرج عن قوميَّته التي نشأ فيها، يكون معزولًا ومنطويًا على نفسه، لا يحقِّق رسالته الإنسانيَّة. والعالمية التي تدعوا إلى تجاوز القومية الضيِّقة إلى مجال العالم الفسيح، كان قد اعتنقها العديد من المفكرين الغربيين أمثال: جوتة وليسينج وفولتير وخوان أندريس ومدام دي ستال وغيرهم (مكي، 2002، ص38-51).

أما عالميَّة صورة القرية في الرواية، فنعني بها خروج صورة القرية المركَّبة من المحلية إلى العالميَّة. وهذا لا يتَّضح إلا من خلال معرفة العوامل التي أوصلتها إلى العالمية. وقد حدَّد محمد غنيمي هلال عوامل عامة وعوامل خاصة لعالمية الأدب، إلا أننا لم نلتزم بها وبأقسامها؛ لأنها لا تتوفَّر بكاملها لصورة القرية في الرواية، وربما استجدَّت عوامل أخرى فرضتها طبيعة الرواية، أولم تكن موجودة في عهد محمد غنيمي هلال. وبعد اطِّلاعنا على الرواية وتاريخها وسيرة مؤلفها، وما وجدته من اهتمام لدى القرَّاء والمختصِّين، استطعنا أن نحدِّد مجموعة من العوامل لعالمية صورة القرية في الرواية، وهي:

أولًا: الجانب الفكري والفني: إذا كانت فكرة الرواية ثوريةً؛ تجمع بين الأمم في قضايا اجتماعية وثقافية وتاريخية وأيديولوجية، لها تأثيرها على هُوية بعض أفرادها، ستصبح فيما بعد عامل جذب لعامة القرَّاء والمفكرين والمختصِّين، وذكر عبد الله إبراهيم أن الرواية تصوغ الهويات الثقافية للأمم، بقدرتها على وضع تصورات لتحولاتها في القضايا المختلفة عن الذات والآخر (إبراهيم، 2013، ص5).

وفكرة الرواية التي نرمز لها بصورة القرية المركَّبة، تعبِّر عن أثر الصدام بين حضارة الشمال (الغربية) وحضارة الجنوب العربية الأفريقية على هُوية المثقَّف الجنوبي الذي تعلَّم علوم الشمال، وعاش في حضارته حينًا من الدهر، ثم عاد إلى وطنه، وتعبِّر -أيضًا- عن موقفه من الغرب ورؤيته لمستقبل وطنه بعد الاستعمار (عبد الملك والكحلة، 2011، ص178). وفكرة الرواية وجدت إقبالًا كبيرًا من الناس، وانتشرت محليًا وعالميًا؛ لأنها لا تزال تمثِّل قضيةً حيَّةً ومتجددة بين الشمال والجنوب، وأنها كُتِبَت في زمن التحرُّر من المستعمِر، وبداية تكوين الدول العربية والأفريقية (بلال، 2011، ص10).

والفكرة - مهما كانت أهميتها - لا تُوصِل صورة القرية في الرواية لعالميتها، إلا إذا وُضِعت في قالب فنيٍّ جماليٍّ راقٍ، وصِيغَت بتقنية سردية عالية وأسلوب مميَّز؛ فلغة السرد في الرواية تمتاز بأنها بسيطة أنيقة ومتينة ومفهومة، بها ثراء وقوة للمفردات (عبيد، 2015/1/7)، وتمتاز –أيضًا- "بالتعبير الفني الراقي، وأنها كثيفة وعميقة، غنيَّة بالتفاصيل والأحداث والشخصيات، واستُخدِمَت فيها تقنية تيار الوعي والتداعي، وتغور في أعماق الشخصية عن طريق الحلم والمناجاة. والرواية مكتنزة بالجاذبية والغموض؛ تُنَشِّط حواس المتلقِّي وتجعله يلهث وراءها ليجمع شتاتها من هنا وهناك (بلال، 2011، ص11).

ويكشف الحوار والأسلوب وتصوير الشخصيات في الرواية، عن عذوبةٍ وخصوبةٍ وغنى فنيٍّ وفكريٍّ عظيم، فالرواية امتزاجٌ خَصبٌ وأصيل بين فضائل الرواية التقليدية، مثل التصوير الدقيق والعميق للشخصيات، وخلق الحكاية الممتعة التي تشدُّ الأنفاس حتَّى النهاية، وبين فضائل الرواية الحديثة التي تعتمد على تصوير الأحلام (محمدية وآخرون، 1984، ص98). وأسلوب الرواية السردي كان مزيجًا من المباشر والرمزي (عبيد، 2015/1/7).

وهذا يؤكِّد أن صورة القرية في هذه الرواية جديرة بالعالمية؛ لأنها قامت على فكرة تاريخية وحضارية متجددة جمعت بين عالمَين: عالم الشمال وعالم الجنوب. ولأنها تفوَّقت في الجانب الفنِّي، وحافظت على أصالتها بما تحمله من ثقافة وتقاليد وموروثات، وبنية تعبيرية عربيَّة محكمة.

ثانيًا: المكان والزمان: للمكان والزمان حضورهما في نفوس المبدعِين منذ قديم الزمان، والتجارب الإنسانية الإبداعية تكشف عن الصلة القوية بين المبدع وبين المكان والزمان، وأن لكل مبدع أسلوبه في توظيفهما لبلوغ غاياته في نصِّه الأدبي. وهما في عصرنا الحديث من العناصر الرئيسة المكونة للعمل الروائي، بل ولكل منهما رمزيته ودلالته في الرواية.

والأمكنة في تفاصيل الرواية كثيرة، ولكنَّا لا نركِّز إلا على أهمِّها وأبرزها، لأنها إما أن تكون ملحقة أو هامشيَّة عارضة. والمكان الأهم الذي نقصده في الرواية هو القرية، التي ترمز إلى الجنوب المستعمَر، والشمال المستعمِر، (مدينة لندن). أما زمان الرواية، فهو مرحلة الاستعمار وما بعدها، ويتزامن مع مرحلة تأليف الرواية وطباعتها في عام1966م.

ونلاحظ أن المكان والزمان في الرِّواية مرتبطان بمرحلة الاستعمار وما بعدها، والاستعمار جمع بين مدينة لندن الأوروبيَّة، وبين القرية العربيَّة الأفريقيَّة. والزمان مشترك بينهما، ويحمل تداعيات الماضي على الحاضر. وهذا يؤكِّد أن رمزية المكان والزمان، قد أسهمت في تشكيل الصورة الفنيَّة للرواية، وتهيئتها لأن تصل إلى العالميَّة.

ثالثًا: الهجرات: لعبت الهجرات دورًا مهمًا في تعميق الجوِّ العالمي سواء أكانت بحثًا عن حياة أفضل، أو من أجل التعليم أو غير ذلك من الأسباب، ولا شك في أن المهاجرين لم يتخلوا عن ماضيهم؛ فهاجرت معهم عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم وأفكارهم، إلا أن نظرتهم قد اتَّسعت بفضل معرفتهم للغة الآخر وأفكاره وثقافته وأدبه وتوجهه، وازدادت رؤيتهم عالميةً ورحبت أفقًا (مكي، 2002، ص55-57).

والهجرة في موضوع دراستنا، تعدُّ عاملًا رئيسًا من عوامل عالمية صورة القرية في الرواية، وفي الرواية هجرتان: هجرة الطيب مؤلف الرواية إلى أوروبا، وهجرة بعض أشخاص الرواية إلى أوروبا. وبفضل الهجرة إلى لندن، تعلَّم المؤلف اللغة الإنجليزية وأتقنها، وتعرَّف على الحضارة الغربية وعاشها وانصهر في مجتمعها، وعَمِل في الإذاعة البريطانية، واطَّلع على الثقافة الغربية وقرأ لمفكريها وأدبائها أمثال: كيتس وشيلي وكولدرج وفرويد وغيرهم، وتأثَّر بهم (يدي النور، 2018، ص38-42). ولا شك في أن الهجرة قد عرَّفته بصورة العالم الشمالي، فاكتملت في ذهنه فكرة الرواية القائمة على الصراع التاريخي بين الشمال والجنوب، وتداعياته على شخصيته المتوارية في شُخُوص الرواية، وعلى أمثاله من المهاجرين، ولا غرابة في ذلك فالرواية شكل تعبيري يتيح رؤية الذات في المرآة

ومكاشفتها ومحاورتها، ومساءلتها عن الهوية والتغيرات الاجتماعية والتحولات التاريخية (برادة، 1996، ص56). وهذا ما دفعه إلى كتابة الرواية.

وهجرة بعض أشخاص الرواية، نعني بها هجرة مصطفى سعيد والراوي، وهما اللذان يمثلان جيلَين من الطلاب العرب الأفارقة الذين هاجروا إلى أوروبا في الفترة الكولونيالية وما بعدها، وتعلَّما الإنجليزية ونهلا من تعاليم الغرب، وعادَا إلى القرية، وكل واحد منهما له تجربته التي تميّزه عن الآخر، إلا أنهما قد شكلا أبعاد الصراع الشمالي الجنوبي وتداعياته على الشخصية العربية الأفريقية، وهذا ما صبغ صورة القرية بلونٍ عالميٍّ جديدٍ.

رابعًا: الترجمة والمترجمون: اللغة حاجز بين الأمم، فلا يمكن يتحقق التواصل والتداخل والتأثير المتبادل بينها إلا بتجاوز هذه المعضلة، ومن هنا برز دور الترجمة والمترجمين لبلوغ هذه الغاية الإنسانية.

وبفضل الترجمة والمترجمين، تجاوزت صورة القرية المركَّبة في الرواية حدود المحلية وانطلقت إلى آفاق إقليمية بل وعالمية؛ فاختلف المختصون في عدد المرَّات التي تُرْجِمَت فيها الرواية إلى لغات أجنبية، فبعضهم يرى أنها تُرْجِمَت إلى أكثر من عشرين لغة (بلال، 2011، ص10)، والبعض الآخر يرى أنها تُرْجِمَت إلى أكثر من ثلاثين لغة أجنبية (عبد الملك والكحلة، 2011، ص178)، ولسنا هنا بصدد تعداد كل هذه اللغات، فاكتفينا بالتعرف على بعضها من خلال تناولنا لأهمّ ما توفَّر لدينا من المترجمين للرواية ومنهم:

أ/ دنيس جونسون ديفيز: مستشرق انجليزي، اشتهر بترجمة الآداب العربية إلى الانجليزية. أكمل ترجمة رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) إلى الإنجليزية، بالتزامن مع الانتهاء من كتابتها؛ فكان الطيب كلَّما فرغَ من كتابة فصلٍ من الفصول بخطِّ يده، يسلِّمه لدنيس ليترجمه إلى الإنجليزية (الفيًا، 2013/1/30).

ب/ عبد الوهاب المؤدب: أديب وأكاديمي فرنسي من أصل تونسي، أشرف على العديد من الترجمات في دار سندباد، وترجم رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح إلى اللغة الفرنسية (الخضيري، 2014/11/7).

إن للترجمة والمترجمين دورًا كبيرًا في خروج صورة القرية الروائية المركَّبة للطيب من المحلية إلى العالمية، من خلال جهود كبار المترجمين للرواية إلى لغات أجنبية، أمثال دنيس والمؤدب ونون؛ إذ تعرَّف العالم على صورة القرية العربية الأفريقية، وعلى الصراع بين مجتمعها والمجتمع الشمالي وتداعياته، ورؤيتهم الإنسانية للمستقبل، بالإضافة إلى أنها أصبحت متاحة للقرَّاء والدارسين المختصِّين وطلبة العلم، العرب وغيرهم.

خامسًا: الدراسات الأدبية والنقدية: ترجمة الأعمال الأدبية للغات أجنبية، وإتاحتها للمختصِّين لإجراء دراساتهم وأبحاثهم العلمية، ونشرها في أوعية علمية محكمة ومتخصِّصة، تتبع لمؤسسات أكاديمية إقليمية وعالمية، يسهم في انتشار الأعمال الأدبية وعالميتها. وصورة القرية المركَّبة في الرواية، قد خرجت من محلِّيتها إلى العالمية؛ فحظيت بعناية المختصين العرب والأعاجم، "وكُتِبَ عنها عشرات الدراسات والأفكار والرؤى المتباينة" (بلال، 2011، ص10).

ومن الدراسات العالمية التي نُشِرت باللغة الإنجليزية عن الرواية، نذكر في المملكة المتحدة دراسة منى تقي الدين أميوني، عنوانها (تفسير رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح)، نُشِرت في مجلات بلوتو (ASQ) للدراسات العربية الفصلية بلندن (Amyuni,1980, p1-18). ولبنيتا باري دراسة عنوانها (تأملات في فائض الإمبراطورية في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح"، نُشِرت في مجلة النظرية النقدية الحديثة، بجامعة أدنبره باسكوتلندا (PARRY, July.2005, p72-90).

وفي أمريكا، دراسة لجون إي ديفيدسون بعنوان (أصول الاضطهاد في "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح)، نُشِرت في مجلة جامعة أنديانا للآداب الأفريقية (Davidson, Autumn.1989, p385-400). ولباتريشيا جيسي دراسة عنوانها (الهجينة والتلوث الثقافي في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح)، نُشِرت في مجلة جامعة إنديانا للآداب الأفريقية (Geesey, Autumn.1997, p128-140).

وفي كندا دراسة لبول هيوبينر عنوانها (الاستعارة والجنون ما بعد الاستعمار في روايات جان ريس والطيب)، نُشِرت في مجلة فسيفساء، بجامعة مانيتوبا (HUEBENER, December. 2010, p19-34).

ومن الدراسات التي كتبت باللغة الفرنسية، دراسة رضا بولعبي، عنوانها (من الطيب إلى عبد الوهاب المؤدب: موسم الهجرة إلى الشمال، أم الاستشراق؟)، نُشِرت في جامعة غرونوبل المفتوحة، بفرنسا (Boulaâbi, 2019, p1-13). ولمحمد علي مصطفى دراسة عنوانها (من الشمال إلى الجنوب حيث الهجرة مستحيلة: قراءة "لموسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح)، نُشِرت بالجامعة الكاثوليكية، بمدينة ليون (Mustapha, 2009, p1-12).

وكتبت مديحة عتيق دراسة مقارنة عنوانها (الأنا والآخر في الأدب ما بعد الكولونيالي: "قلب الظلام" لجوزيف كونراد، و"موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح) نُشِرت في الجزائر، بحوليات جامعة قالمة (عتيق، 2014، ص110-135). ولمحي الدين صبحي دراسة مقارنة عنوانها (موسم الهجرة إلى الشمال بين عطيل وميرسو)، و(عطيل) رواية لشكسبير، و(ميرسو) رواية لكامو، نُشِرت هذه الدراسة من ضمن دراسات لمجموعة من الباحثين في كتاب عنوانه (الطيب صالح: عبقري الرواية العربية) (محمدية وآخرون، 1984، ص39-77).

وما سبق يؤكِّد أن الدراسات الأدبية النقدية والدراسات المقارنة، قد أصبحت عاملًا مهمًا من العوامل التي أوصلت صورة القرية المركَّبة في رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) إلى العالمية؛ تناولها المختصون العرب والأعاجم بالدراسة والتحليل، ونشروا ما أنتجوه من دراسات وأبحاث بلغات أجنبية في أوعية علمية متخصِّصة ومحكمة، تتبع لمؤسسات أكاديمية لها مكانتها العالمية، في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وغيرها.

سادسًا: الشابكة العنكبوتية: لم تقتصر عوامل عالمية الأدب على ما سبق ذكره، وعلى ما حدده الأدباء والنقاد في دراساتهم المقارنة أمثال محمد غنيمي

هلال، والطاهر مكي وغيرهما، بل استجدَّ عامل آخر فرضته الطفرة التقنية في عصرنا الحديث، وهو لا يقلُّ أهميَّة عن العوامل الأخرى، وربما يكون أسرعَ وأسهل وأكثر فاعليَّة في عملية التحول من المحلية إلى العالمية، فنحن في زمن أصبح العالم فيه قريةٍ صغيرة، تعج بأوعية المعرفة: المكتبات والمجلات والجرائد والمواقع الإلكترونية وغيرها.

وكان لصورة القرية في الرواية، حظّها من التطور التقني؛ فأصبحت متاحة للقرَّاء وللباحثين في الكثير من المواقع الإلكترونية، بالإضافة إلى المقالات والدراسات الأدبية والنقدية والمقارنة التي أجراها المختصون في الرواية، والحصول عليها يكون بالبحث عن اسم الرواية أو الدراسة أو المقالة أو باسم المؤلف باللغات المختلفة على المتصفِّحات العالميَّة.

والشابكة العنكبوتيَّة لها دور كبير في عالميَّة صورة القرية، من خلال نشرها لرواية الطيب (موسم الهجرة إلى الشمال)، وما كتبه المختصُّون والباحثون من المقالات والدراسات الأدبيَّة والنقدية والمقارنة على المواقع الإلكترونية للمكتبات والمؤسَّسات الأكاديميَّة المتخصِّصة، والمجلات والصحف.

ونخلص إلى أن صورة القرية في الرواية، قد خرجت من إطارها المحلي إلى العالمية، والعوامل التي أوصلتها إلى العالميَّة هي: الجانب الفكري والفني، والهجرات، والترجمة والمترجمون، والدراسات الأدبيَّة والنقديَّة، والشابكة العنكبوتيَّة.

الخاتمة:

توصَّلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

أن ارتباط الطيب بوطنه، وتجربته في الهجرة وثقافته الواسعة، أَغْنَتْ تجربته وزادتها عمقًا؛ فأنتج عملًا سرديًا ناضجًا وهادفًا، استثار القرَّاء والمختصين محليًّا وعالميًا.

أن صورة القرية في الرواية، مركبةٌ من صورة محليَّة لطبيعتها الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية، وصورة غربيَّة على لسان أبنائها، تصوِّر تجربتهم التعليمية في مدينة لندن.

أن التنازع والاضطراب في شخصية الطالب المهاجر بعد عودته إلى وطنه، تعكس التداعيات السلبيَّة على هُوية المجتمع العربي الأفريقي في مرحلة ما بعد الاستعمار.

أن العوامل التي أوصلت صورة القرية في الرواية إلى العالمية هي: الجانب الفكري والفني، المكان والزمان، الهجرات، الترجمة والمترجمون، الدراسات الأدبية والنقدية، الشابكة العنكبوتية.

أن عالمية صورة القرية السودانية في الرواية، تؤكِّد أن العالمية يمكن أن تنبع من المحليَّة.

المصادر والمراجع

إبراهيم، ع. (2013). *السردية العربية الحديثة: الأبنية السردية والدلالية*. (ط1). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

باشلار، غ. (1987). *جماليات المكان*. (ط3). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

بدر، ع. (2009). ثلاث قراءات للطيب صالح، عطيل العربي المتحرر من أسر اللون، جريدة الدستور، عمان، الأردن، الخميس، ع: (475904).

برادة، م. (1996). *أسئلة الرواية أسئلة النقد*. (ط1). الدار البيضاء، المغرب: شركة إبراهيم الروداني.

برادة، م. (2011). *الرواية العربية ورهان التجديد*. (ط1). الأمارات العربية المتحدة، دبي: دار الصدى.

بكري، م. (2021). دينيس جونسون ديفيز: رائد ترجمة الأدب العربي إلى الإنجليزية. *مجلة الجديد الأدبية الشهرية، لندن*، 73.

بلال، أ. (2011). *جدلية الرمز والواقع: دراسة نقدية تطبيقية في رواية (موسم الهجرة إلى الشمال)*. (ط1). الخرطوم، السودان: مدارات.

تايسون، ل. (2014). *النظريات النقدية المعاصرة: الدليل الميسر للقارئ*. الرياض: جامعة الملك سعود.

جبريل، ط. (1997). *على الدرب مع الطيب صالح: ملامح من سيرة ذاتية*. القاهرة: الدراسات السودانية.

جريبه، آ. (1980). *نحو رواية جديدة*. القاهرة: دار المعارف.

الخضيري، م. (2014). عبد الوهاب المؤدب: موت عقلاني عربي، جريدة الأخبار، لبنان. الرابط: https://al-akhbar.com/Literature_Arts/40938

الزيدي، و. (2020). *الفرانكفونية: دراسة في المصطلح والمفهوم والتطور التاريخي*. (ط1). النجف، العراق: المركز الإسلامي.

صالح، ا. (2010). *الأعمال الكاملة*. (ط10). بيروت: دار العودة.

طرابيشي، ج. (1997). *شرق وغرب، رجولة وأنوثة: دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية*. (ط4). بيروت: دار الطليعة.

عبد الملك، ك.، والكحلة، م. (2011). *صورة أوروبا في الأدب العربي الحديث من طه حسين إلى الطيب صالح*. (ط1). بيروت: مدارك.

عبيد، هـ. (2015). *قراءة في رواية موسم الهجرة إلى الشمال*. مركز النور للدراسات. http://www.alnoor.se/article.asp?id=262958.

عتيق، م. (2014). الأنا والآخر في الأدب ما بعد الكولونيالي: (قلب الظلام) لجوزيف كونراد، و(موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح): دراسة مقارنة. *حوليات جامعة قالمة للغات والآداب، الجزائر*، 8.

غازي، خ. (2015). *الطيب صالح: سيرة وشهادات من محطات العمر*. الجيزة، مصر: وكالة الصحافة العربية.

الفيًا، ع. (2013). نظرات في ترجمة "موسم الهجرة إلى الشمال" إلى الإنجليزية، موقع سودارس الإلكتروني. https://www.sudaress.com/sudanile/49848.

الماضي، ت. (2009). موسم الهجرة الأخير: الطيب صالح: رحيل الكبار بعد أداء الأدوار، صحيفة الجزيرة السعودية، ع: (13293). الرابط:
https://www.al-jazirah.com/2009/20090219/cu1.htm

محجوب، ج. (2020). في رثاء الطيب صالح (عبقري الرواية العربية). *مجلة فكر الثقافية*، 28.

محمدية، أ. (1984). *الطيب صالح: عبقري الرواية العربية*. بيروت، دار العودة.

مدقن، ك. (2005). دلالة المكان في رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) للطيب صالح. *مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر*، 4.

مكي، ا. (2002). *الأدب المقارن: أصوله وتطوره ومناهجه*. (ط4). القاهرة: مكتبة الاداب.

موسى، ف. (1972). *الرواية العربية المعاصرة*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

موقع (بايوغرافي). يعنى بالسيرة الذاتية للشخصيات العربية والعالمية. الرابط:
https://www.arageek.com/bio/tayeb-salih

هلال، م. (2009). *الأدب المقارن*. (ط10). القاهرة: شركة نهضة مصر.

يدي النور، ع. (2018). *موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح: تقويم عقدي _أدبي*. (ط5). الهند: دار ستار.

References

Amyuni, M. (1980). Tayeb Salih's Season of Migration to the North: An Interpretation. *Pluto Journals, London*, 2(1).

Boulaâbi, R. (2019). *De Tayeb Salih à Abdelwahab Meddeb: Saison de la migration vers le Nord ou vers l'orientalisme*, 95, Éditions, Université Grenoble: Revues en édition libre.

Davidson, J. (1989). In Search of a Middle Point: The Origins of Oppression in Tayeb Salih's Season of Migration to the North. *Indiana University: Research in African Literatures, USA*, 20(3).

Geesey, P. (1997). Cultural Hybridity and Contamination in Tayeb Salih's (Mawsim al-hijra ila al-Shamal (Season of Migration to the North). *Indiana University, Arabic Writing in Africa, USA*, 28(3).

HUEBENER, P. (2010). Metaphor and Madness as Postcolonial Sites in Novels by Jean Rhys and Tayeb Salih. *University of Manitoba, Mosaic: An Interdisciplinary Critical Journal, Canada*, 43(4).

Mustapha, M. (2009). Du nord au sud où la migration impossible: une lecture de saison of migrations to the north de Tayeb Salih. *Lyon, Université catholique*.

PARRY, B. (2005). Reflections on the Excess of Empire in Tayeb Salih's (Season of Migration to the North). *Edinburgh University, THE IDEA OF THE LITERARY, Scotland*, 28(2).

Siddiq, M. (1978). The Process of Individuation in Al-Tayyeb Salih's (Novel Season of Migration to the North). *Brill, Journal of Arabic Literature, University of Michigan*, 9.

Ibrahim, Abd. (2013). *Modern Arabic Narrative: Narrative and Semantic Buildings*. (1st ed.). Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.

Bachelard, G. (1987). *Aesthetics of the Place*. (3rd ed.). Beirut: University Institution For studies and publishing.

Badr, A. (2009). Three Recitations of Tayeb Salih, Othello, the Arab freed from captivity Color, Al-Dustour Newspaper, Amman, Jordan, Thursday, p. (475904).

Brada, M. (1996). *Questions of the Novel, Questions of Criticism*. (1st ed.). Casablanca, Morocco: Ibrahim Company Rhodani.

Brada, M. (2011). *The Arabic Novel and the Bet of Renewal*. (1st ed.). United Arab Emirates, Dubai: Dar Echo.

Bakri, M. (2021). Dennis Johnson Davies: Pioneer of translating Arabic literature into English. *Al-Jadeed Literary Monthly Magazine, London*, (73).

Belal, A. (2011). *Dialectic of Symbol and Reality: An Applied Critical Study in the Novel (Season of Migration To the North)*. (1st ed.). Khartoum, Sudan: Madarat.

Tyson, L. (2014). *Contemporary Critical Theories: The Facilitating Guide For the reader*. (1st ed.). Riyadh: King Saud University.

Gabriel, T. (1997). *On the Path with Tayeb Salih: Features from an Autobiography*. (1st ed.). Cairo: Sudanese Studies.

Jerry, A. (1980). *Towards a New Novel*. (1st ed.). Cairo: Dar Al Maaref.

Khudairi.

Muhammad, Abd. (2014). An Arab Rational Death Newspaper News, Lebanon. Link: https://al-akhbar.com/Literature_Arts/40938

Zaidi, W. (2020). *The Francophone: A Study in Terminology, Concept and Historical Development*. (1st ed.). Najaf, Iraq: The Islamic Center.

Salih, A. (2010). *Complete Works*. (10th ed.). Beirut: Dar Al-Awda.

Tarabishi, G. (1997). *East and West, Masculinity and Femininity: A Study in the Crisis of Gender and Civilization in The Arabic Novel*. (4th ed.). Beirut: Dar Al-Tali'a.

Abdul Malik, K., & Kohl, M. (2011). *The Image of Europe in Modern Arabic Literature from Taha Hussein to Tayeb Salih*. (1st ed.). Beirut: Madarak.

Ebaid, H. (2015). Reading in the novel Season of Migration to the North, Al Noor Center for Studies. http://www.alnoor.se/article.asp?id=262958

Ateeg, M. (2014). The Ego and the Other in Post-Colonial Literature: Heart of Darkness and (Season of Migration to the North by Tayeb Salih): A Comparative Study. *Annals of the University of Guelma For languages and literature, Algeria*, (8).

Gasy, Kh. (2015). *Al-Tayeb Salih: Biography and Testimonies from the Stations of Al-Omar*. (1st ed.). Giza, Egypt: Arab Press Agency.

Alfia, Abd. (2013*). Looks at translating "Season of Migration to the North" into English, Sudan website*. https: //www.sudress.com/sudanile/49848

Almadhy, T. (2009). The last migration season: Tayeb Salih: Departure Adults after performing roles, Al-Jazeera Saudi newspaper, p: (13293). Link: https://www.al-jazirah.com/2009/20090219/cu1.htm

Mahjoub, J. (2020). In the legacy of Tayeb Salih (The Genius of the Arabic Novel). *Fikr Cultural Journal*, (28).

Muhammadiyah, A. (1984). *Al-Tayeb Salih: The Genius of the Arabic Novel*. (1st ed.). Beirut: Dar Alawda.

Mudaqin, K. (2005). The indication of the place in the novel (Season of Migration to the North) by Tayeb Salih. *Al-Athar Journal, University of Ouargla, Algeria*, (4).

Makky, A. (2002). *Comparative Literature: Its Origins, Development and Methods*. (4th ed.). Cairo: Library Literature.

Mousa, F. (1972). *The Contemporary Arabic Novel*. (1st ed.). Cairo: Anglo-Egyptian Library.

Biography website, which is concerned with the biography of Arab and international personalities. https://www.arageek.com/bio/tayeb-salih

Hilal, M. (2009). *Comparative Literature*. (10th ed.). Cairo: Nahdet Misr Company.

Yadwey Aldar, Abd. (2018). *The Season of Migration to the North by Tayeb Salih: A*

Decadal Calendar – Literary. (5th ed.). India: Dar Star.

Takieddine-Amyuni, M. (1980). Tayeb Salih's" Season of Migration to the North": An Interpretation. *Arab Studies Quarterly*, 1-18.

Boulaâbi, R. (2019). De Tayeb Salih à Abdelwahab Meddeb: Saison de la migration vers le Nord ou vers l'orientalisme?. *Recherches & Travaux*, (95).

Davidson, J. E. (1989). In Search of a Middle Point: The Origins of Oppression in Tayeb Salih's" Season of Migration to the North". *Research in African Literatures*, *20*(3), 385-400.

Geesey, P. (1997). Cultural Hybridity and Contamination in Tayeb Salih's" Mawsim al-hijra ila al-Shamal (Season of Migration to the North)". *Research in African Literatures*, *28*(3), 128-140.

Huebener, P. (2010). Metaphor and madness as postcolonial sites in novels by Jean Rhys and Tayeb Salih. *Mosaic: A journal for the interdisciplinary study of literature*, 19-34.

Mostfa, A. (2006). Du nord au sud ou la migration impossible, une lecture historique de Saison de la Migration vers le Nord de Tayeb Salih. *La Revue de l'université catholique de Lyon*, (10), 43-51.

Parry, B. (2005). Reflections on the Excess of Empire in Tayeb Salih's Season of Migration to the North. *Paragraph*, *28*(2), 72-90.

Siddiq, M. (1978). The Process of Individuation in Al-Tayyeb Salih's" Novel Season of Migration to the North". *Journal of Arabic Literature*, 67-104.